خصوصية التوظيف في الشعر الأندلسي

عبد الحميد محمد عامر

جامعة مصراتة

مقدمة:

إن حركة الأدب والفكر في الحضارة الأندلسية، يمكن تقسيمها بحسب التأريخ العربي في إسبانيا إلى فترتين: فترة المد، وتبدأ بالفتح حتى عصر ملوك الطوائف، وهي التي حكم فيها أمراء وحكام من المشرق أو الأندلس نفسها[1]. أما الفترة الأخرى فيمكن وصفها بالجزر، وهي التي حكم الأندلس فيها دولتان من شمال إفريقيا، وهما دولتا المرابطين والموحدين، ذلك أن الاتجاه الديني- الذي كان خاضعاً لحكام شمال إفريقيا- يجعل الفترة الثانية متميزة عن الأولى[2].

وقد كان العرب الفاتحون لإسبانيا لا يعرفون من الثقافة العربية إلا ما يختص بالقرآن الكريم وعلومه، والشعر الغنائي المشرقي، الذي كان ذائعاً أواخر القرن الأول الهجري. وقد كان يحمل خصائص الشعر الإسلامي على المستويين: المضموني، والبناء الفني. كما كان شعر هؤلاء الفاتحين لا يخرج عن كونه فخراً بالأصل، أو تغنياً بالشجاعة في الحروب، أو حنيناً إلى الوطن الأم، أو بكاء على الشهداء في الفتوح. ولم يبق لنا من شعر هذه الفترة إلا أخباره وصفاته[3].

مفهوم التجديد:

الإشارة التاريخية السابقة تفرض علينا قراءة الظاهرة الشعرية في الأندلس، في حدود ما يطلق عليه النقاد مصطلح (التجديد)، ويقصد به التجديد في الشعر الأندلسي على منوال القدماء، فما مفهوم المصطلح الذي اكتسب صفة التعاطي بشكل كبير لدى أغلب النقاد، الذين قرأوا شعر الأندلس؟

1 ـ انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki

2 ـ انظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته ومقاصده، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص: 245.

3 ـ انظر: نفسه.

فإذا نظرنا إلى البيئة الأندلسية قبل الفتح الإسلامي لها، لم نجد حضارة عربية فيها؛ بل إن الإسلام هو الظاهرة الوافدة إليها، بوصفه عاملاً سياسياً أجرى حركة الفكر في تلك البيئة، ومن ثم خضع الفكر العربي الإسلامي الوافد لأن يكون مقياساً ومعياراً لكل تجليات ما أنتجته البيئة الأندلسية، بما في ذلك الشعر، وصار لزاماً أن يكون الأدب العربي في المشرق العربي- قديماً- مقياساً نركن إليه في الدراسات المتعلقة بأدب البيئة الأندلسية، وهذا يحتم علينا أن نصدر حكماً يمكن أن نغالي فيه؛ إذا قلنا إن الأدب الأندلسي، شعراً أو نثراً، يقعان في نطاق علاقة بين البيئتين، وهذه العلاقة تكمن في أن الأدب الأندلسي هو محاكاة للأدب العربي الإسلامي في المشرق، ومكمن المغالاة أيضا أننا لم نفصل البيئة الأندلسية بكل مقوماتها عن عوامل وروافد الشعر في المشرق؛ فنجعل لها خصوصية في التعاطي مع أدبها، فلم يكن هناك أدب قديم في الأندلس حتى يمكن الحكم على نتاجها بالتجديد، فمصطلح (التجديد) يعني التجديد في نهج القصيدة العربية شكلا ومضموناً، وهذا منهج مقاربي، يحاول وضع الأدب دائماً في صورة التقليد والإبداع.

إن حركة الفكر والأدب في الأندلس هي نتاج البيئة الأندلسية الخالصة، بعد أن استقلت عن مرحلة النشأة، (فترة التقليد)، وهي التي تنسب إلى فترة بدايات الفتح الإسلامي بكل تداعياتها السياسية، ثم صار لحركة الأدب تحول آخر، حيث جاء دور البيئة الطبيعية وتداعياتها الخاصة بها، التي ألقت ظلالها على ما تلقفته من مفاهيم رئيسة في الفكر الإسلامي والعربي على السواء، وكان لها الدور المهم في بلورة حركة التاريخ، والتفاعل مع المنجز الإسلامي، والعطاء الفكري الوافد، بشكل له خصوصية، نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، وما نتج عن هذا التفاعل أن البيئة الأندلسية بمقوماتها أعادت صياغته وإنتاجه بشكل آخر، غير ما عهده المثقف العربي.

خصوصية الطبيعة في الأندلس:

مما لاشك فيه أن طبيعة البيئة العربية يغلب عليها الوصف بأنها بيئة صحراوية جافة ووعرة، وهو ملمح وخاصية ظهر في أغلب النتاجات الفكرية، غير أن البيئة الأندلسية امتازت في أغلبها بالطبيعة الساحرة، التي كانت أغلب مكوناتها ذات قدرة على التأثير في سلوك الإنسان بصفة عامة، والشاعر بصفة خاصة، وهذه الصفة أكسبتها خصوصية في الخطاب الشعري الأندلسي. وبلاد الأندلس شبه جزيرة، تقع في الجنوب الغربي من أوربا، والمياه تطوف بها من كل جوانبها، عدا الجهة التي من الشمال الشرقي، حيث جبال البرانس، التي تفصل بينها وبين فرنسا، وفيها من الهضاب الكبرى والسلاسل الجبلية، التي توشك أن تطوقها، كما تجري بها أنهار كبيرة

وصغيرة، ويسير مجراها معاكساً بعضها بعضاً، يشق أكبرها أهم مدينتين في الأندلس (قرطبة وإشبيلية)، إضافة إلى تلك العيون والآبار الكثيرة، علاوة على وفرة الأمطار التي تهطل بغزارة، وخاصة على الهضبة الوسطى، والواقع أن الطبيعة الأندلسية تحتوي على السهول والهضاب والجبال والأودية، وفيها الخصب السعيد، والسهول المنبسطة، والحقول الخصبة، والحدائق الغناء، على حد وصف الشعراء، كما فيها الجذب الشقي، وفيها بقاع تستحم بمياه الأنهار، وفيها أخرى تتعطش إلى غيث السماء، إلا أنه يظل أخصب بقاع شبه الجزيرة، وأحسنها مناخاً تلك التي فضل المسلمون العيش فيها، فلم يكن مقامهم بغيرها إلا قليلاً، كالسهول الجنوبية والشرقية والغربية[4].

ومن ثم؛ فقد امتازت الأندلس بجمال بيئتها الطبيعية؛ فشغف بها أهلها، وأقبلوا يسرحون النظر في جنباتها، ويستمتعون بمفاتنها، وطفق الشعراء يصفون هذا الجمال، ويتغنون به، وبدوا في أوصافهم كأنهم يتأملون ما حولهم في فتور وبطء وإسهاب، حتى خيل إليهم أن الأندلس هي جنة الخلد بمائها وظلها وأنهارها وأشجارها[5].

يقول **ابن خفاجة** - أحد شعراء الأندلس - مخاطباً أهل الأندلس:

يـا أهـل أنـدلس للّه دركـم ماء وظل وأنهار وأشجـار
مـا جنـة الخلد إلا فـي دياركـم ولـو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنـة النـار[6]

صورة الطبيعة في القصيدة الأندلسية:

كيف وظف الشاعر الأندلسي الطبيعة في شعره؟ يرى الباحث أن الطبيعة تمثل محوراً رئيساً في النص الأندلسي، ولا يكاد نص يخلو من تناولها؛ بل إن قراءة النص الأندلسي بعيداً عن محور الطبيعة يعد عبثاً في أغلب القراءات، ومن ثم نجد أن الشاعر الأندلسي سيطرت عليه الطبيعة، فسلك لها سبلا عديدة، الأمر الذي يمكن أن نشير إلى أنه تفرد بهذا التناول، ومن بين الطرق التي تشير إليها النصوص والدراسات الفنية لآلية توظيف الطبيعة في القصيدة، قد تأتي في تصورات ثلاثة رئيسة منها:

4 ـ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، القاهرة، دار المعارف، 1979م، ص 19/16. كما ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط7، 1985م ص: 193.

5 ـ عادل جابر، شفيق محمد الرقب، كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم، عمان، دار صفاء، 1990م، ص: 112.

6 ـ ديوان ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة (ت 533هـ) تح سيد غازي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، ص: 77.

1 -أن يتخذ وصف الطبيعة مقدمة للقصائد، كما في قصائد المدح مثلا، مثل ما فعله ابن الأبار في قصيدته المدحية في قوله:

لبس الربيع الطلق برد شـــبابه وافتر عن عتباه بعد عتابه
ملك الفصول حبا الثرى بثرائه متبرجاً لوهاده وهضـــابه
فأراك بالأنوار وشي بروده ...[7]

والشاعر في الأندلسي ينطلق في ذلك ليوازي بين الممدوح والطبيعة، ويجعلهما في مرتبة واحدة، فالطبيعة هنا جزء متمم لشخصية الممدوح، وأن ما تتمتع به من جمال وبهاء وخضرة ومنظر حسن، يلهب الأنظار ويبرقها يماثل تلك الشخصية، فقد سيطرت عليه الطبيعة حتى رآها الشاعر هي الممدوح فاستهل بها قصيدته.

ويحسن أن نلفت إلى ملمح تطور الشاعر الأندلسي هنا، بعد مقارنته بما قدمه الشاعر العربي في المشرق (الشاعر الجاهلي)، فالشاعر في الأندلس لم يحاك مثلاً قديماً يحتدي به، ويقترن برؤيته، وبمقارنته بالشاعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، وما يماثله في الزمن والشعراء، لم يخضع لمحاكاتهم وتقليدهم، مثله في ذلك الشاعر الجاهلي عندما استقل بعرفه في مقدمة القصيدة، ومن ثم صار العرف التقليدي عند الشاعر الأندلسي في ما مدى توظيفه الطبيعة في نصه، والتي جاءت في صور وأشكال مختلفة على ما سنرى.

2 -قد تكون القصيدة بكاملها مشتملة مقدمتها في وصف الطبيعة، وهنا نلحظ كيف جدد الشاعر الأندلسي بأن أعطى للطبيعة اهتماما أكبر، أو أن الطبيعة فرضت ذاتها عليه بأن استقلت بموضع منفرد في نصه، وهذا كثير لدى أغلب شعراء الأندلس.

وإذا تحولت الطبيعة موضعا عاما للنص الشعري، فليس معنى هذا أن يضعف النص؛ بل إن الشاعر الأندلسي أظهر براعته وتصويره لها أشد براعة، من حيث ابتكاره الصور والمعاني المولدة[8].

وببراعته التصوير الحسي، بث فيها الشاعر حيوية لغوية، من خلال تراكيبها وجملها، فحملت شيئا من الرقة والعذوبة، وأصبغت الحس الحضري الرقيق المرهف، الذي لا يشي بوجود طابع بدوي، فانفصل الشعر الأندلسي إثر ذلك عن إحدى خصائص النص العربي القديم، ألا وهو الطابع البدوي، وليس أدل على ذلك من قصيدة ابن حمديس الصقلي بمطلعها:

---

7 ـ حكمة الأوسي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976، ص: 77.

8 ـ عادل جابر، شفيق محمد الرقب، كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق، ص: 113.

نثر الجــو على الأرض بـرد أي درٍ لنحــور لــو جـــــمد
لـؤلؤ أصدافه السـحب التي أنجـز البـارق منـها مـا وعد
ولقـد كـادت تعـاطى لقطه رغبـة فيـه كـريمات الخرد
وتحلــي منـــه أجيـــــاداً إذا عطلت راقتك في حلي الغيد
ذوبتــه مـــن سمـاء أدمـــــع فــوق أرض تتـلقـاه بـخـــــد
فـجـرت منـه سيول حـــولنا كـثـعـابين عـجـال تطـرد[9]

إن الطبيعة والمرأة شيئان متلازمان لدى الشاعر الأندلسي، وإذا كان الشاعر الجاهلي قد جعل المرأة متصدرة في مقدمة القصيدة؛ فإن الشاعر في الأندلس ربط الطبيعة بالمرأة، وجعل من الطبيعة أساساً ومحوراً لمعالجة قضاياه تجاه المرأة والجمال، وهنا نرى ابن حمديس يؤكد على سحر منظر البرد وهو يتساقط، ومن فرط جماله تخيله؛ بل جعله قلائد لنحور النساء الجميلات.

واللوحة الفنية التي يعبر عنها الشاعر هنا، أنه مزج من ذلك التصور الذي يعتمد على علاقة الطبيعة بالمرأة، فالبرد مشبه بالدر بأصدافه في جوه اللطيف، وأن لكل من الدر والبرد أصدافاً، وعندما رأت الجميلات هذا البرد وهو يتساقط حسبنه لؤلؤاً، فوقعن يلتقطنه من فرط جماله وبهائه، غير أنه سرعان ما ذاب فتلقته الأرض بخدها، لأنه سقط من السماء، وصار يجري مكوناً أنهاراً جميلة، شبهها الشاعر بالثعابين التي تتواثب، فهنا يبدأ الشاعر من الطبيعة وهو منظر تساقط البرد من السماء، ثم إلى الحسناوات الجميلات وأمنيتهن، ثم يرجع إلى الطبيعة مرة أخرى وكيف تبخرت أمنية الجميلات، لتصير واقعاً من الطبيعة الجميلة الأخرى، لا كي ينسينا الجميلات، بل ليرجع بنا إلى البرد وتشكلات الطبيعة، التي أذهلت النساء الجميلات، فنقلنا من صورة إلى أخرى؛ ليعزز أمر فكرة واحدة، هي جمال الطبيعة، وما أحدثته من أثر في نفسه. فالمرأة ليست شيئا ثانوياً في نظر الشاعر الأندلسي، بقدر ما هي أساسي، لكنه يأتي بعد الطبيعة، وهذا يدل على مدى سيطرت الطبيعة على هاجس الشاعر، وتحليه بكامل أناقتها في ذهنه.

3 ـ وقد يمزج الشاعر بين وصف الطبيعة وموضوع آخر خارجي، قد يكون رئيساً، أو قد يكون ثانوياً، على أن تكون الطبيعة محورا رئيساً للقضية التي يتعاطاها في نصه، والشاعر الأندلسي يمزج في جو من العاطفة بين موضوعاته في القصيدة بخيط رقيق،

9 ـ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، مرجع سابق، ص: 88.

مشتملاً على أغراض القصيدة العربية التقليدية، كالمدح والفخر والغزل والرثاء، وكذلك كما في ذكر الصبابة واللوعة والفراق أو الشكوى، وهذا كثير كثير.

وقد سبق أن ذكرنا تركيز الشاعر على الطبيعة، من حيث اقترانها بالمرأة، ففي الغزل تتجلى هذه الظاهرة كثيراً، وتتركز بعاطفة خانقة تذوب فيها الصور والكلمات، وتتصهر فيها روح الشاعر مع محبوبته انصهاراً قد يشي إلى أن ظاهرة الغزل قد تناولها الشاعر الأندلسي، على وجه غير ما تناولها فيه غيره من شعراء العرب على مختلف عصورهم، بسبب البيئة وتجليتها لديه.

أدل ما يمكن أن نجد لديه هذه الظاهرة سالفة الذكر عند الشاعر العربي الأصيل (أبي الوليد بن زيدون) في أغلب وأشهر قصائده، كما في قصيدة (أضحى التنائي بديلاً)، وقصيدة (إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً)، كما كانت هذه الظاهرة موجودة عند الشاعر (ابن خفاجة الأندلسي) بكثرة، وليس أدل على ذلك من قصيدته المشهورة البائية، التي قالها في الجبل، ومطلعها:

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب[10]

والقصيدة طويلة تظهر فيها مظاهر فنية عديدة لدى الشاعر، من أهمها: كيف مزج الطبيعة الجبلية مع الرؤية العميقة، التي تصدر عن الشاعر، وكيف وظف ظاهرة التشخيص، وإن كان بعض النقاد ينظر إلى هذا المزج بنظرة تأملية لا تنفصل عن رؤية الفلاسفة للعالم والكون، إلا أن ذلك يعد تحميل النص مالا يحتمل، فخيال لشاعر رحب، ورؤيته أعمق للتأمل في الطبيعة.

الطبيعة في القصيدة العمودية:

تظهر ملكة الإبداع عند الشاعر الأندلسي عبر تطور أدواته الفنية في نسج القصيدة من جهة، ومن جهة أخرى عبر تحول الجنس الأدبي (الأدب الأندلسي) من شكل إلى آخر، وهذا ملمح الابتكار لديه؛ فمثلا على مستوى الجنس الأدبي (الشعر)، حيث تلقت الأندلس جنس الشعر من تعاطيها القصيدة العربية الوافدة وتقليدها لها زمن الفتح الإسلامي، ثم تطور هذا الشكل، وتبدل هذا الجنس الشعري مضموناً محافظاً على شكله العمودي فترة من الزمن، حتى ابتكرت القريحة الشعرية؛ بل تمردت على النص العمودي، بأن ظهر نص الموشحات، الذي هو في الوافد تمرد على النمط العمودي وربط الفكر الوافد بمرجعياته بالثقافات المتشكلة من عدة طوائف وعرقيات. إذن الأجناس الأدبية الخاضعة للوزن والقافية في الأدب الأندلسي هي: الشعر العمودي وفن الموشحات.

10 ـ ديوان ابن خفاجة، مرجع سابق، ص:88. وينظر: أمجد توفيق، كتاب التراث، دار الجاحظ، بغداد، د. ت.

إن كلاً من القصيدة العمودية والموشحة قد صارت ضحية التأثر بالطبيعة، فوظف كل منهما الطبيعة، وخضع لها، وهذا مكمن البحث الذي يرصد حركة التأثير بالطبيعة في كلا الجنسين، واعتماده عليها. واكتفى الباحث بتناول ظاهرة التأثير بالطبيعة، وكيفية توظيف الشاعر الأندلسي لها من خلال تحليل الصورة في قصيدة للشاعر(ابن زيدون)، التي مطلعها:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقـــا والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصـــــائله كأنما رق لي فاعتل إشفاقـــاً
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللت عن اللبات أطواقـــا
كأن أعينه إذ عاينت أرقـــي بكت لما بي فسال الدمع رقراقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمـت بتنا لها حين نام الدهر سراقـــا

ومن خلال تصوير الشاعر لواعج شوقه لمحبوبته، ومحاولة التواصل معها، فقد اعتمد على الطبيعة اعتمادا كبيرا، وصور حالته التي تأتي في تصور الباحث بين ثنائيتين، تتعلق كل منهما بالزمن وهما: ثنائية الزمن الماضي والزمن الحاضر، وسط ثنائيتين غيرهما، متعلقة كل منهما بمن يدور حولهما النص، إنهما: ثنائية الأنا والآخر، فحالة الشاعر في الحاضر انقطاع مع المحبوبة، بينما يأتي التواصل في الماضي، وكل منهما يتعلق بالأنا، وهو الشاعر، صاحب النفس المنكسرة المتذمرة العاشقة والولهانة؛ بل المتيمة في خاطر قد يغدو سراباً، ويصبح حكاية تطول، أما الآخر فهو (ولادة) المعشوقة البعيدة المنال، سبب هم الشاعر وشوقه بها، وهي والمثير الذي ينطلق منه النص في لحظة التذكر للمشاعر والأحاسيس؛ إذ إنه في السجن ما زال يتذكرها، وما زال يترصد ذكرياته معها، فالآخر سبب الانقطاع، وسبب المصيبة، التي حلت بالشاعر، فأوقعت عليه هذا البعد البعيد.

إن الشاعر الجاهلي يؤمن بالتذكر، ومن ثم استخدمه كمثير شاقه التواصل معه، وهو الطلل في الغالب؛ ليصل لحظة النشوة مع ذكريات المرأة التي كان يعشقها في الماضي؛ وصارت ذكريات مطوية بسبب الرحلة أو غيرها، غير إن الشاعر الجاهلي حر طليق وسط صحرائه وبيئته، وكذلك الحال عند الأندلسي ابن زيدون، فقد جعل من الواقع مثيراً وسط سجنه الذي أثار في نفسه لذة التوق إلى ذكريات المعشوقة، إنها لذة تغمرها السعادة، فالذكريات قد تتحول إلى أحلام يقظة في حالة يأس التواصل، وهذا ما فعله شاعرنا العاشق الولهان، لقد اختار منافساً للمرأة؛ كي يحيي ذكرياته معها في أبهى صورة رقيقة سلسة عذبة؛ تخرج أحاسيسها من قلب خاض تجربة العشق في أحلى صوره وأبهى زينته، وذلك عندما مزج بين المرأة (ولادة بنت المستكفي) والطبيعة، فصورها في الطبيعة؛ لجمال الطبيعة الذي سلب منه محبوبته، فنسيها، وصار يقلب

صور الطبيعة ويصقلها بحروف لغته، حتى تناسى المتلقي المعشوقة، وصار يبحث عن لون الطبيعة الذي يمزج جمالها بجمال المحبوبة، وهكذا نقلنا الشاعر وسط ثنائية الأنا والآخر وتحولاتها وسط الطبيعة .

إن الشاعر يبدأ نصه باستخدام المضمر المخاطب من دون ذكر لاسم المحبوبة ثم في حديثه عن الطبيعة صار يرسم وجهها بأسماء وصفات، وما يزيد من ذلك عندما أصبغ على وجوه وتشكلات الطبيعة صفة التجسيم أو التشخيص، كما هو معروف عند النقاد وهو: إضفاء صفات الإنسان على الجمادات، وهذا ما جعل الشاعر ينجح في عملية المزج بين الطبيعة والمرأة أكثر، فمن شدة هولنا بالطبيعة تناسى المتلقي موضوع النص، وصار يحاكي ويتسامر مع الكلمات التي تصف وجوه الطبيعة، فالتصوير مركب من عدة صور، بدأت بالذكرى، واستقرت بالشوق، كما يشير لفظ (مشتاقا)، ثم انتهت بالطبيعة وأنواعها.

إن الشاعر سخر طاقة اللغة من أجل أن يقول: إني عاشق، في تصوير مركب، جعل فيه وجوه الطبيعة وأشكالها تتعاطف مع مشكلته، وتحن عليه، وتتعاطى معه أحزانه؛ بل إن الطبيعة تتسامر معه همه ونفسه، وكأنه يريد أن يقول لمعشوقته من دون سأم منها، ووسط حلم من أحلام اليقظة التي يعيشها أو يتعايشها: "أرأيت الطبيعة وهي تشاركني همي وأحزاني وتصارع معي القدر الذي صرت إليه، لقد كانت الطبيعة بديلاً عنك".

إن النص العمودي لدى ابن زيدون وغيره[11] من شعراء الأندلس قد استوعب طاقتين: أولاهما طاقة اللغة العربية بقوة مفرداتها، التي عن طريقها عبر الشاعر عن همه. وثانيهما أنه استوعب هم الشاعر بعد مزج هذا الهم بالطبيعة، فشغف بها، حتى تصورها كائناً حياً، فأصبغ عليها صفاته الإنسانية كبديل عن المفقود، ومن ثم جاء تأثيره بها قوياً ومعبراً، وهكذا نرى النص الأندلسي يحيا ليعيش عبر الزمن، ويفرض نفسه ليرسم لنا تصورات الشاعر وتأثره بالبيئة الطبيعية، وانبهاره بها أشد انبهار. موظفاً تقنيات فنية، كالتجسيم أو التشخيص، وعدم المباشرة ونحوها، وقد خرجت عن الخطاب المبتذل الذي يردي النص بعيداً عن النقد الموضوعي، وهو ما يحي النص.

11 ـ ينظر قصيدة ابن خفاجة البائية، التي قالها عن الجبل، وكيف تعمق برؤيته عن طريق فكرة التشخيص، حيث رسم الشاعر للجبل صورة تشعر بعظمته وشموخه ووقاره الصامت، الذي يشبه إطراق المتأمل الحكيم، ينظر ديوان الشاعر مرجع سابق، ص: 88. وينظر: أمجد توفيق، كتاب التراث، دار الجاحظ، بغداد، د. ت.

الخلاصة:

يعد هذا البحث قراءة لظاهرة مدى تأثر الشاعر الأندلسي بالطبيعة وشغفه بها، وآلية توظيفه لها، وهي محاولة لتثبيت خاصية من خاصيات الأدب في بيئة الأندلس، إذ إن الباحث يصدر عن رؤية مفادها أن الطبيعة تمثل محوراً رئيساً للفكر الأندلسي عامة، ومنطلقاً يصدر منه الشاعر والكاتب، وقد ساهمت مساهمة كبيرة في إثراء الحركة الأدبية في البلاد، حتى صبغت بها، ويمكن سرد أهم ما توصل إليه الباحث، في النقاط الآتية:

- خصوصية التناول في الأدب الأندلسي تنطلق من البيئة ثم إلى رؤية الشاعر.
- تقع أهمية المصطلح داخل السياق لتحديد أي ظاهرة في الأدب ونحوه. ومن ثم يعني مفهوم التجديد في نقد الأدب الأندلسي الابتكار والتطور وليس بالضرورة يعني الثورة على القديم.
- عدم الفصل بين البيئة الأندلسية بكل مقوماتها عن عوامل وروافد الشعر في المشرق قد يوقع الناقد في أحكام مسبقة ليست من خصائص الأدب الأندلسي.
- إن حركة الفكر والأدب في الأندلس هي نتاج البيئة الأندلسية الخالصة، بعد أن استقلت عن مرحلة النشأة، (فترة التقليد)، وهي التي تنسب إلى فترة بدايات الفتح الإسلامي بكل تداعياتها السياسية، تم صار لحركة الأدب تحول آخر، حيث جاء دور البيئة الطبيعية وتداعياتها الخاصة بها، التي ألقت ظلالها على ما تلقفته من مفاهيم رئيسة في الفكر الإسلامي والعربي على السواء، وكان لها الدور المهم في بلورة حركة التاريخ، والتفاعل مع المنجز الإسلامي، والعطاء الفكري الوافد، نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، وما نتج عن هذا التفاعل أن البيئة الأندلسية بمقوماتها أعادت صياغته وإنتاجه بشكل آخر، غير ما عهده المثقف العربي.
- الطبيعة سبيل الشاعر الأندلسي في التعاطي مع أي ظاهرة شعرية في النص العمودي أو الموشحات أو حتى في فن النثر، حتى صارت خاصية من خصائص هذا الأدب، وأن خصوصية الطبيعة في الأدب الأندلسي تشي إلى تفرده بخصائص ومسلمات تختلف عن مفهومها في النقد العربي القديم.
- قدرة الشاعر الأندلسي على توظيف خياله إلى أبعاد متشكلة يعتمد فهمها على القارئ.

المراجع:

1. ديوان ابن زيدون، تحقبق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1965م.

2. ديوان ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة، تح سيد غازي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1،د،ت.

3. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته ومقاصده، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

4. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، القاهرة، دار المعارف، 1979م.

5. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط7، 1985م.

6. عادل جابر، شفيق محمد الرقب، كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم، عمان، دار صفاء، 1990م.

7. اتجاهات نقد الشعر في الأندلس، مقداد رحيم، أبوظبي، منشورات المجتمع الثقافي، 2000م.

8. حكمة الأوسي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976م.

9. أمجد توفيق، كتاب التراث، دار الجاحظ، بغداد، د. ت.

10. http://ar.wikipedia.org/wiki